أيها المسلمون

إن من بين الحقوق التي فرضها الإسلام وأمر برعايتها وأوجبها ما جاء في تنظيماته الدقيقة وتشريعاته المحكمة الحكيمة بخصوص مؤسسة الأسرة، وذلك في كل جزئية تتعلق بها، حيث فصل القرآن العظيم في هذه النظم وبيّن في هذه الأحكام بيانا يدل على أهمية الأسرة وعلى أهمية حفظها وسلامتها من الآفات الإجتماعية التي قد تعصف بها فيختل نظامها!
فإنك تجد في القرآن العظيم سورا كسورة البقرة خصص جانب كبير منها لأحكام الأسرة. واقرأ في سورة النساء، واقرأ في سورة النور وفي سورة الأحزاب وفي سورة الطلاق وفي التحريم ما قاله الله تعالى وما أوحاه لنبيه صلى الله عليه وسلم من قرآن في شأن الأسرة مما يشكل قانونا أو دستورا كاملا شاملا دقيقا لحفظ هذه المؤسسة الإنسانية المهمة في حياة الإنسان وتركيبة المجتمع الإنساني.
فهذا القانون وهذا الدستور وهذا النظام الذي أوحاه الله تعالى لرسوله المربي المعلم هو توضيح وبيان للحقوق و للاختصاصات لأجل منع التصادم والاحتكاك بين أفراد الأسرة، وذلك بردها إلى حكم الله، لا حكم الهوى ولا لحكم عرف جائر، لا لتقليد باطل..ولا للانفعلات الشخصية اللامسؤولة التي تجلب الخراب والدمار لبيت الأسرة. قال الله تعالى: **"وما اختلفتم فيه من شيئ فحكمه إلى الله، ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب"** (الشورى:10)

أيها المسلمون

قد جاءت النصوص التي تصف الصالحات من الزوجات أن من طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها اللازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون مطيعة لزوجها. وهنا يفهم كثير من الأزواج الطاعة بمفهوم هو أقرب للعبودية، أوكالموظفة العاملة عنده.. وقل من الأزواج من يفهم من حق الطاعة أنها طاعة تنتج عن رغبة ومحبة وإرادة، لا عن قسر وقهر وإرغام. نعم إن من الحقوق بين الزوجين حق **"طاعة الزوجة لزوجها"**، ولكن هذا المعنى الكبير المهم في مؤسسة الأسرة من المعاني التي شابها الخطأ في الفهم، والتخليط في إدراك المقصد منه؛ لأجل ما ألبسه من الأعراف ومن العادات التي تحمل نظرة دونية وسلبية للمرأة!
وتأمل هنا -أيها المسلم- قول الله تعالى: **"فالصالحات قانتات"**، ولم يقل –سبحانه وتعالى- **"طائعات"**! لماذا؟
لأن مدلول اللفظ **"قانتات"** مدلول فيه بعد نفسي، ففيه الرقة والمودة والسكن والستر والحب والرعاية التي تكون بين الزوجين في أجواء حضن الأسرة الدافيء، وفي المحضن الذي يرعى النشأ ويتربي فيه الأولاد، في ظروف صحية وسليمة. فطاعة الزوجة لزوجها إنما هي المطاوعة والتعاون في جو من الود والحب والتفاهم، لا إذلال ولا استعباد ولا امتهان ولا تسلط ولا تجبر ولا استكبار من قبل الزوج...إذ كل هذا يناقض ويصادم معنى السكن والمودة الذي ذكره القرآن **"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزاوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..."** (الروم:21).

أيها المسلمون

فلا يجوز أن نقحم في دين الإسلام –الدين الحنيف، دين الفطرة- المفاهيم الخاطئة مما توارثه الناس أو ألفوه في بيئاتهم التي جعلت الرجل سيدا مالكا متسلطا جلادا باسم الدين أحيانا، أو باسم العادات والتقاليد الجائرة أحيانا اخرى، حيث تجعل المرأة و الزوجة كالأمة المملوكة! هذه مما لا يقبله الإسلام –أيها المسلمون-ولا يقره شرعه الحنيف.

ولا شك –أيها المسلمون- إن في بعض من التوجيهات في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – بعد النظر في الملابسات التي أحاطت بها- صورة لصراع مفاهيم الإسلام وتعاليمه مع المعتقدات والمفاهيم والعادات الخاطئة في المجتمعات، صورة صراع بين هذه الرواسب وهذه العادات والتقاليد وبين التعاليم السماوية والتوجيهات الربانية. فعلى سبيل المثال، جاء في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن زمعه **أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النساءَ فوعظ فيهنَّ –أي ذكّر بحقهن على الأزواج- ثم قال " إلامَ يَجلدُ أحدُكم امرأتَه ؟ " في روايةِ أبي بكرٍ " وفي روايةِ أبي كريب " جلدَ العبدِ . ولعله يُضاجعُها من آخرِ يومِه!!".**

فالرفق والرحمة مطلوبة في معاملة الزوجة وومع الأولاد، والعنف والقسوة والشدة ليس لها مسوغ وليس لها مبرر، قال صلى الله عليه وسلم: **"ما كان الرِّفقُ في شيءٍ قطُّ إلا زانه، ولا كان الخَرقُ في شيءٍ قطُّ إلا شانَه، وإنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ"** (صحيح الترغيب، الألباني، وقال: حسن صحيح). وقال صلى الله عليه وسلم: **"الراحمون يرحمُهم الرحمنُ. ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماءِ..."** (أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح**).**

ولقد كان بيت النبوة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم العملية في بيته مع أهله وبتوجيهاته القولية علاج للمافيهم الخاطئة والتعسف في استعمال الحق وتصحيح للمفاهيم. فها هو صلى الله عليه وسلم يوجه أهل بيته ويقول لعائشة رضي الله عنها : **" يا عائشةُ ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفق، ويُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العنفِ وما لا يُعطِي على ما سواه"** (صحيح مسلم).

فاقرأ –أيها المسلم- في سيرة بيت النبوة، في سيرته صلى الله عليه وسلم مع أزواجه الطبيبات الطاهرات، وفي سيرته مع أهل بيته الكرام؛ لتأخذ من ذلك كله الأسوة والقدوة الحسنة في تعاملك مع زوجتك ومع أهل بيتك كما وجهك القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: **"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثير"** (الأحزاب:21).

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم.